ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Proverbs Inherent in Surat Al-Baqara According to the Interpretation of Al-Shaarawi

Dr. Iyad Muzaffar Younis

Yousra Ibrahim Mohamed

University: Mosul / College: Islamic Sciences / Department: Islamic Belief and Thought

* *Corresponding author: E-mail* :
ayadmodafar@uomosul.edu.iq

***Keywords*:**
Proverbs
souret elbakara
Interpretation of Shaarawi

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 1 Nov. 2020
Accepted 15 Nov 2020
Available online 16 Dec 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Arab proverbs have an important position among scholars, as we find them classified in them the compilations, and took care of their echo in the Noble Qur'an. Proverbs in the Noble Qur'an are divided into two types: the first: the explicit proverbs, and the second: the non-explicit proverbs, and the latter is divided into two parts: the first: latent proverbs, and the second: Sent proverbs; In examining the beauty and importance of the topic in general and the underlying proverbs in particular, we see that an aspect of this topic should be highlighted in the Holy Qur'an, and we choose Surat al-Baqarah. Because of the large number of proverbs in it, and we focus in our study on the latent proverbs, and we divided the research into two topics: The first: To define briefly the parable, Surat Al-Baqarah, and Sheikh Al-Shaarawi and its interpretation, and the second study: to clarify the examples inherent in Surat Al-Baqarah, which the commentators referred to, and to know how Sheikh Al-Shaarawi benefited from it in calling to God Almighty.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.11.2020.04

الأمثال الكامنة في سورة البقرة في تفسير الشعراوي جمع ودراسة

م.د.اياد مظفر يونس/ جامعة الموصل/كلية العلوم الاسلامية

يسرى ابراهيم محمد/ طالبة الماجستير/ جامعة الموصل/كلية العلوم الاسلامية

الخلاصة:

للأمثال العربية مكانة مهمة عند العلماء، إذ نجدهم صنفوا فيها المصنفات، واهتموا بوجود صداها في القرآن الكريم، وتقسم الأمثال في القرآن الكريم الى نوعين: الأول: الأمثال الصريحة، والثاني: الأمثال

غير الصريحة، وهذه الأخيرة تقسم الى قسمين: الأول: الأمثال الكامنة، والثاني: الأمثال المرسلة؛ وبالنظر لجمالية وأهمية الموضوع بصورة عامة والأمثال الكامنة بصورة خاصة, رأينا أن نبرز جانباً من جوانب هذا الموضوع في القرآن الكريم، واخترنا سورة البقرة؛ لكثرة الأمثال فيها، وركزنا دراستنا على الأمثال الكامنة, وقسمنا البحث الى مبحثين: الأول: للتعريف بإجاز بالمثل، وسورة البقرة، والشيخ الشعراوي وتفسيره، والمبحث الثاني: لبيان الأمثلة الكامنة في سورة البقرة، التي أشار اليها المفسرون, ومعرفة كيف أفاد منها الشيخ الشعراوي في الدعوة إلى الله تعالى.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميامين، ومن تبع دعوته بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنّ الله تعالى أنزل كتابه العظيم معجزاً بأسلوبه وبلاغته، فأقام به الحجة على قريش وهم أفصح العرب، ولا زال أهل العربية ينهلون من علومه، فتضافرت جهود العلماء، من أجل إبراز مكنوناته، ومعرفة أسرار تعبيره، ومن أولئك العلماء الأجلاء، الشيخ المجدد، إمام الدعاة، الشيخ محمد متولي الشعراوي – رحمه الله تعالى- الذي عرفه القاصي والداني، لروعة أسلوبه، وخفّة ألفاظه، وسلاسة خطابه، فيقع كلامه على القلب موقع الندى على الزهر، يزيل ما عليها من غبار، ويترك بريقاً يلمع في خبايا القلب بنور الإيمان.

وللأمثال العربية مكانة مهمة عند العلماء، إذ نجدهم صنفوا فيها المصنفات، واهتموا بوجود صداها في القرآن الكريم، ولأنّ القرآن الكريم جاء على ما اعتاده العرب من تشبيه واستعارة وتمثيل، إذ تقسم الأمثال في القرآن الكريم الى نوعين: الأول: الأمثال الصريحة، والثاني: الأمثال غير الصريحة، وهذه الأخيرة تقسم الى قسمين: الأول: الأمثال الكامنة، والثاني: الأمثال المرسلة؛ وبالنظر لجمالية وأهمية الموضوع بصورة عامة والأمثال الكامنة بصورة خاصة, رأينا أن نبرز جانباً من جوانب هذا الموضوع في القرآن الكريم، واخترنا سورة البقرة؛ لكثرة الأمثال فيها، وركزنا دراستنا على الأمثال الكامنة.

وقسمنا البحث الى مبحثين: الأول: للتعريف بإجاز بالمثل، وسورة البقرة، والشيخ الشعراوي وتفسيره، والمبحث الثاني: لبيان الأمثلة الكامنة في سورة البقرة، التي أشار اليها المفسرون, ومعرفة كيف أفاد منها الشيخ الشعراوي في الدعوة إلى الله تعالى.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبع دعوتهم بإحسان إلى يوم الدين.

المبحث الأول

التعريف بالمثل, وسورة البقرة، والشيخ الشعراوي وتفسيره

في هذا المبحث سنبيّن التعريفات اللازمة الضرورية المتعلقة بعنوان وموضوع البحث, ولذا اقتضى تقسيمه الى ثلاثة مطالب، وكما يأتي:

المطلب الأول

تعريف المثل لغةً واصطلاحاً

المثل لغة: "الشيءُ يُضْرَبُ للشيء فَيُجْعَلُ مِثْلَهُ، والمَثَلُ: الحديثُ نفسُهُ، وأكثر ما جاء في القرآن نحو قوله تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: 35] فيها أنهار، فمثلها هو الخبر عنها" [1].

المثل اصطلاحاً: هناك عدّة تعريفات للمثل، وذلك لأنّ الحديث عن المثل ليس وليد العصر، وإنما هو قديم، وقد نال اهتمام أهل اللغة والأدب، ذلك أنّه من مخزون اللغة المعتمد في العربية، ومن تلك التعريفات: أنّه سمي المثل بهذا الاسم؛ لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبداً، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر، وفي المثل ثلاث ميزات: ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه[2].

المطلب الثاني

التعريف بسورة البقرة

أولاً: مكيُّها ومدنيّها، وعدد كلماتها وآياتها وحروفها: سورة البقرة مدنية، إلا قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281][3]، وهى أول سورة نزلت بعد هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، عدد آياتها: مائتان وست وثمانون آية، وعدد كلماتها: ستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة، وعدد حروفها: خمسة وعشرون ألفا وخمسمائة حرف [4].

ثانياً: ما اشتملت عليه السورة: سورة البقرة سورةٌ عظيمة، اشتملت على تشريعاتٍ عظيمة، وتضمَّنت آياتٍ عظيمة، وهي أطول سورة في القرآن الكريم من حيث عددُ الآيات والصفحات، وعدد الأحزاب والأجزاء، وهي سورة لها شخصية مميزة، تضمنت العديد من المواضيع، منها: ذكر صفات المؤمنين، وصفات المنافقين والكافرين، وقصة خلق سيدنا آدم عليه السلام وهبوطه إلى الأرض، وقصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وأحكام فقهية كثيرة تخص الصيام، والحج، والطلاق، والميراث، والحث على الإنفاق، وتحريم الربا، وغيرها، وفيها أعظم آية، آية الكرسي[5].

ثالثاً: فضلها: قال رسول الله ﷺ: ((اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ

مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[6].

المطلب الثالث

التعريف بالشيخ الشعراوي وتفسيره

هو محمد متولي عبد الحافظ الشعراوي، واشتهر على ألسن أهل قريته اسم (الشيخ أمين)، ولقب بالشيخ الشعراوي[7]، ولد الشيخ الشعراوي في عام (1329هـ)، الموافق لعام (1911م)، في مصر في قرية (دقادوس) وهي أحدى قرى مركز (ميت غمر) في محافظة (الدقهلية)، تقع على نهر النيل فرع دمياط، وهي من القرى القديمة[8]، ونشأ الشعراوي في كنف أسرة متوسطة الحال، طيبة الأصول، وقد حرص والده على تنشأة ابنه إسلامياً، فحفظ الشيخ الشعراوي القرآن وهو صبي في كتّاب القرية[9]، وكان والده يريد دفعه إلى الدراسة، بينما كان الشعراوي يريد أن يبقى مع اخوته لزراعة الأرض[10].

وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية التحق بالثانوية الأزهرية بالمعهد الأزهري بالزقازيق،ثم بكلية اللغة العربية بالقاهرة، وكان من الحريصين على تحقيق السبق العلمي، فكان يحقق المراتب الأولى من بين الناجحين دائماً [11]، إلى أن حصل على الإجازة العالمية عام 1941م، ومن بعدها نال درجة التخصص من الكلية نفسها عام 1943م، وشغل عدة وظائف من بينها منصب وزير الأوقاف[12].

مؤلفاته:

في المكتبات مؤلفات عديدة ، حملت اسم الشيخ الشعراوي، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ المؤلف الوحيد الذي تصح نسبته للشعراوي هو ما يحمل اسم (تفسير الشعراوي)، حيث بدأ الشيخ يطبع تفسيره في أجزاء متوالية تحت إشرافه اليقظ، واستمر الشيخ بمراقبته التي لم تتح للمتسرعين أن يكتبوا ما كانوا يتعجلون بنشره دون وعي منهم[13].

وفاته:

توفي الشيخ الشعراوي يوم الأربعاء في الثاني والعشرين من شهر صفر سنة (1418هـ) الموافق للسابع عشر من شهر يونيو سنة 1998م، ودفن في قريته دقادوس[14].

تفسيره:

يمتاز تفسير الشعراوي بميزة خاصة، فهو أوّل تفسير مرئي وصوتي للقرآن الكريم، توجه به الشيخ – رحمه الله تعالى- إلى عامة النّاس، وقد أبدى لذلك سببين[15]:

1. رغبته في وصول تفسيره إلى أكبر عدد من النّاس.
2. التحدث والإلقاء أسهل وأيسر من الكتابة والتسطير، فالتأليف مجال يختلف عن التحديث الذي غالباً ما يكون بأسلوب بسيط غير متكلف.

ولم يصرح الشيخ إلا لجهتين بكتابة ما يذاع من كلامه وما ينشر عنه، وهما: دار أخبار اليوم، ومكتبة التراث الإسلامي[16]، أمّا المطبوع من تفسيره فقد راجعه وضبطه الشيخ الشعراوي وأجازه بخط يده، وأشرف بنفسه على ما خرج من مجلدات، وبذلك صحّت نسبة التفسير إليه بدليل ما ذكره في المقدمة إذ قال: " فهذا حصاد عمري العلمي، وحصيلة جهادي الاجتهادي" [17].

وقال الشيخ أيضاً: " خواطري حول القرآن لا تعني تفسيراً للقرآن، وإنّما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات... ولو أنّ القرآن من الممكن تفسيره لكان رسول الله ﷺ أولى النّاس بتفسيره؛ لأنّه عليه نزل، وبه انفعل... ولكن رسول الله ﷺ اكتفى أن يبيّن للنّاس على قدر حاجاتهم من العبادة"[18]، ومن الجدير بالذكر أنّ الشيخ الشعراوي لم يكمل تفسير القرآن، فقد توفاه الله تعالى قبل ذلك، وكان تفسيره إلى سورة الممتحنة[19].

لذا شاعت تسمية هذا الكتاب الجليل باسم (خواطر الشعراوي) وذلك من باب التواضع، أمّا تسمية (تفسير الشعراوي) التي شاعت على الألسن فهي لا تنسب إليه، وإنما أطلقت باعتبار نسبة الكتاب إلى المؤلف، كما حصل مع المتقدمين، كما يقال: تفسير القرطبي، وتفسير البيضاوي، وهذا من باب تسمية الكتاب باسم مؤلفه، فيتضح لنا صحة نسبة المطبوع إليه من خواطره تحت عنوان (تفسير الشعراوي)، وأنّه تابع نشره مع دار أخبار اليوم التي طبعت له الطبعة الأولى من هذا الكتاب الجليل.

منهجه:

من المعلوم عند طلبة العلم أن لكل مفسّر منهجاً يختصّ به في تفسيره، فمنها ما هو لغوي، أو فقهي، إلا أنّ تحديد مصادر الشيخ الشعراوي في تفسيره يعد من الصعوبة بمكان، لذا قيل في الشعراوي ومنهجه: عرفه النّاس عن طريق الإذاعة والتلفاز، وهو متحدّث لسنٌ، يُشرِّبُ حديثه شيئاً من اللهجة المصرية، وهو إذ يتحدث يحسن العرض بأسلوب شيّق، لهذا أعجب به الكثير من المشاهدين والمستمعين، ومن حيث المضمون والموضوع فإنّ ما تحدّث به الشيخ الشعراوي ونشر فيما بعد فيه الكثير من اللفتات، وأنَّ المتتبع لها يصل إلى نتائج منها: أنَّ أكثر ما ذكره الشيخ قد ذكره العلماء من قبله، ولكن أسلوب الشيخ وجدّة العرض أولاً، وعدم صلة النّاس بالتراث ثانياً وسكوت الشيخ عن مراجعه ثالثاً هذه الأسباب كلها جعلت النّاس يظنون أنّ ما يأتي به الشيخ جديد[20].

ويرى الباحثان أنّ عدم إشارة الشيخ الشعراوي إلى مصادره أو التصريح بأقوال المفسرين بنسبتها إليهم راجع إلى أنّ الشيخ الشعراوي كان يوجّه تفسيره في القرآن إلى عامة النّاس من خلال المحاضرات المرئية؛ لذا فذكر أسماء المفسرين بالنسبة لعامة النّاس لا يعد من الأهمية بمكان، إذ كانت غاية الشيخ الشعراوي – رحمه الله تعالى – إيصال فهم كتاب الله تعالى إلى كافة الناس على اختلاف مستوياتهم,

والمطلع على تفسير الشيخ يجد أنّ التنوع كان حاضراً في تفسيره، وأنّ تفسيره حوى ما حوته باقي التفاسير الأخرى.

المبحث الثاني

الأمثال الكامنة في سورة البقرة في تفسير الشعراوي

تمهيد

أنواع الأمثال في القرآن الكريم

الأمثال في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع، وهي:

1. الأمثال الصريحة: "وهي ما صرح فيها بلفظ المثل[21]، أو ما يدل على المثل" ، أي: **كالكاف الاسمية** وهي "اسم بمعنى (مثل)" وتعرب إعرابها إنْ وضعت مكانها، وتلازم الإضافة إلى الاسم "[22]، وذلك نحو:

– قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 19].

– وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176].

وبما أن الأمثال الظاهرة في القرآن الكريم هي عبارة عن تمثيل لصورة معقولة بأخرى محسوسة مشاهدة لتقاربهما في الحكم، وتكون فيه الصورة التمثيلية مقترنة بإحدى صيغ التمثيل أي: مصرحا بها مدركة بالحس، فإنها تخلو من السرد القصصي بخلاف المثل في الاستعمال الاصطلاحي - المثل السائر(الموجز)-، وبما أن القرآن الكريم خالٍ من الاستعمال الخرافي للأمثال فإن جُلّ أمثال القرآن الكريم الظاهرة تندرج ضمن التمثيل القياسي القائم على السرد والوصف[23].

2.الأمثال المرسلة: "وهي جمل أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال" [24]، بمعنى: أنّها آيات قرآنية جرت على لسان النّاس كالأمثلة- لأنّ الحكمة إذا لم تشتهر على لسان الناس لا تعتبر مثلاً- فهي تشبه ما قاله العسكري عن الحكمة التي ذهبت مثلاً في قوله**: "** وجعل

كل حكمة سائرة مثلا، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به، إلا إنّه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً" [25].

ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81].
- وقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41].
- وقوله تعالى: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ [يوسف: 51].

والملاحظ أنَّ بعض الآيات القرآنية امتازت باحتوائها على حكمة بليغة وموجزة، وبروعة التأليف؛ مما يؤدي إلى تداولها بين النّاس وسهولة انتشارها، ويمكن تسميتها بالأمثلة المرسلة كما تقدم، أي ما يجري مجرى المثل.

3. الأمثال الكامنة: وهي عبارة عن ورود أقوال وأمثال مشهورة توافق في معناها بعض الآيات القرآنية[26]، فهي" التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها [27]، أو هي تخريج أمثال العرب والعجم من القرآن الكريم، ووصف هذا النوع من الأمثال بالكامنة مقصود، وهو مأخوذ من الفعل " كَمَنَ كُمُوناً: اخْتَفى. وكَمَن لَهُ يَكْمُن كُموناً وكَمِن: استَخْفى. وكمنَ فلانٌ إذا اسْتَخْفَى فِي مَكْمَنٍ لَا يُفْطَنُ لَهُ " [28]، ويظهر من خلال المعنى اللغوي أنّ المراد بالمثل الكامن، أنّه هناك أصل للمثل، أي هناك مورد ضرب فيه مثل معيّن، لم يصرّح القرآن الكريم بذكره، ولكنّه يستنبط من خلال السياق, وسوف نتناول في هذا المبحث أهم تلك الأمثال التي أشار لها المفسرون في سورة البقرة, ونرى كيف فسرها الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى.

المطلب الأول

"خير الأمور أوسطها"[29]

ويضرب هذا المثل "في التمسك بالاقتصاد"[30] ورد معناه في قوله تعالى﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 68][31].

جاءت هذه الآية في سياق الكلام عن صفات البقرة التي أمر الله تعالى بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام بذبحها في قصة المقتول، فقال تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة 68]، أي: ما عمرها، وهذا السؤال عن صفة البقرة لا عن حقيقتها فإنها معروفة.

ابتدأ الشيخ الشعراوي عند تفسيره لهذه الآية ببيان عناد بني إسرائيل عند استجابتهم للطاعات، وبيان عدم تعظيم شأن الله تعالى، فقال: "وكان سؤالهم يبين نقص درجة الإيمان عندهم، لم يقولوا ادع لنا ربنا، بل قالوا: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، وكأنه رب موسى وحده، وقد تكررت هذه الطريقة في كلام بني إسرائيل

عدة مرات، حتى أنّهم قالوا كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، واستمر الحوار بينهم وبين موسى فترة طويلة، يوجهون السؤال لموسى فيدعو الله فيأتيه الجواب من الله تبارك وتعالى، فبدلا من أن ينفذوا الأمر وتنتهي المسألة يوجهون سؤالا آخر، فيدعو موسى ربه فيأتيه الجواب، ويؤدي الجواب إلى سؤال آخر في غير محله منهم، ثم يقطع الحق سبحانه وتعالى عليهم أسباب الجدل، بأن يعطيهم أوصافا لبقرة لا تنطبق إلا على بقرة واحدة فقط، فكأنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم"[32].

ثم بيّن الشيخ عبثية بني إسرائيل في أسئلتهم، فإنّ قولهم ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ سؤال لا معنى له، لأنّهم علموا أنّ الله تعالى أمرهم بذبح البقرة، وذلك في قوله تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: 67]، ولم يقل سبحانه وتعالى: اذبحوا حيواناً دون تحديد، فلم يكن هنالك محل لسؤالهم، فقال لهم ﷻ: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾، والفارض في اللغة: الواسع، فمعنى قوله تعالى إذا هي غير مسنة، ولكن ما العلاقة بين سنّ البقرة وبين الواسع؟ البقرة إذا حملت كثيراً فإنّ مكان اللبن يكون فيه اتساع، وكذلك بطنها، فكثرة الحمل وسعة البطن تدل على أنّها فارض، أما معنى البكر فمن معانيها أنّه لم يطأها فحل، أو ولدت مرة واحدة، أو مراراً لكن لم يظهر عليها ذلك لصغر السن، ومعنى (عوان) أي: وسط بين ذلك،﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أأي: كفاكم مجادلة، ونفذوا أمر الله تعالى الذي أمرتم به بذبح البقرة، لكنهم بعد ذلك غيّروا صيغة السؤال[33].

والشيخ – رحمه الله تعالى- لم يذكر المثل الكامن في الآية الكريمة، بل – ربما- أشار إليه ببيان معنى (عوان)، بقوله: أنها وسط بين هذه الأوصاف، وقد استفاد من الآية الكريمة في الدعوة وكما يأتي:

1. تعريف المسلمين بأن اليهود لا يعظمون الله تعالى ربّ العالمين، وهو الذي أنعم عليهم وخلصهم من قهر فرعون، فكانوا إذا خاطبوا موسى ﷺ لا يقولون: (ربنا) بل يقولون: (ربّك).
2. الكشف عن تسويف اليهود في الاستجابة لأوامر الله تعالى.
3. تحذير المسلمين من ارتكاب ما فعله بنو إسرائيل من التسويف مع أوامر الله تعالى والمبادرة إلى التوبة.
4. المسارعة إلى تنفيذ أوامر الله تعالى، دون كثرة في السؤال.

الغرض في الآية القرآنية:

1. تسلية النبيّ ﷺ بقصص من كان قبله، وبيان حال اليهود مع أنبيائهم، فكيف سيكونون معه؟
2. التشنيع على أفعالهم، وتذكيرهم بتشديد الله تعالى عليهم في تلك الحادثة، وأن الله سيشدد عليهم إذا لم يتبعوا النبيّ ﷺ.

3. تعليم المسلمين عدم السؤال عمّا لا حاجة منه.

المطلب الثاني

"القتل أنفى للقتل"[34]

يضرب المثل ويراد به المعنى الموجود في قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179][35]، إلا أنّ البعض يرى أنّ هناك فرقاً بين المثل والآية فقال: ولا يلتفت إلى ما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل، فإن من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية، وليس كذلك، بل الحق أنّ بينها فرق من أوجه، الأول: أن ﴿الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ لفظتان و(القتل أنفى للقتل) ثلاثة ألفاظ، الوجه الثاني: أنّ في قولهم: (القتل أنفى للقتل) تكريرا ليس في الآية، والوجه الثالث: أنه ليس كل قتل نافيا للقتل إلا إذا كان على حكم القصاص، وقد صاغ أبو تمام هذا الوارد عن العرب في بيت من شعره فقال:

واخافَكُمْ كي تُغْمِدُوا أسيافَكُمْ إنَّ الدَّمَ المعترَّ يحرسُهُ الدَّمُ[36]

فقوله: (إنَّ الدَّمَ المعترَّ يحرسُهُ الدَّمُ) أحسن مما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل"[37].

وردت الآية الكريمة في سياق الحديث عن القصاص، وقد قال ﷻ قبلها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ...﴾ الآية [البقرة: 178] ولما أخبر سبحانه وتعالى بفائدة العفو, أخبر بفائدة مقابله تتميماً لتأنيب أهل الكتاب على عدولهم عن النص وعماهم عن الحكمة فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179].

بدأ الشيخ الشعراوي – رحمه الله تعالى- بالحديث عن الفرق بين قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاص﴾ الآية[البقرة: 178] وبين﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ [البقرة: 179]، وأرجّع ذلك إلى دقّة التشريع، فالتشريع الدقيق المحكم يأتي بالحقوق والواجبات، فلا يوجب شيئاً بغير حق، ولكي نتمكن من معرفة سمو التشريع يجب على المؤمن النظر إلى ما يجب عليه من التكاليف، ويقارنه بعد ذلك بما له من الحقوق، وسيعرف المؤمن أنه في شرع الله تعالى نال مطلق العدالة: لأنّ المشرّع هو الله تعالى، والله أولى بالمؤمنين، فالتكليف الإيماني يمنع الظلم، ومن عادة الإنسان المجادلة في طلب الحق دون القيام بالواجب، ولكن المؤمن هو الذي يعطي الواجب تماماً فينال حقوقه تامة؛ ولذلك يقول ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179][38].

وبعد هذه المقدمة شرع الشيخ في بيان معنى القصاص بعباراته المعهودة، فقال: " إن القصاص مكتوب على القاتل والمقتول وولي الدم. فإذا علم القاتل أن الله قد قرر القصاص فإن هذا يفرض عليه أن يسلم نفسه، وعلى أهله ألا يخفوه بعيداً عن أعين الناس؛ لأن القاتل عليه أن يتحمل مسؤولية ما فعل، وحين يجد القاتل نفسه محوطاً بمجتمع مؤمن يرفض القتل فإنه يرتدع ولا يقتل، إذن ففي القصاص حياة؛ لأن الذي يرغب في أن يقتل يمكنه أن يرتدع عندما يعرف أن هناك من سيقتص منه، وأن هناك من لا يقبل المداراة عليه" [39].

ثم قام الشيخ بعد ذلك بالرد على شبهات القائلين بأن القصاص نوع من الوحشية، وتساءل عن سبب قولهم لهذا القول، فالإنسان الذي يقتص منه بالعدل هو قتل غيره بالباطل، فالعقوبة حين شرعها الله تعالى لم يشرعها لتقع، وإنما شرعها لتمنع وقوع الفعل الموجب لها، وحين يقرر الشرع الاقتصاص من القاتل فإنّها ليست وحشية، بل هي حماية لبقية أفراد المجتمع، فيحميهم من وجود قاتل بينهم، قاتل لا يحترم الحياة التي منحها الله تعالى للإنسان، وهذه الحماية تكون بأن يفكر القاتل ألف مرة قبل أن يقوم بأي عمل يؤدي به إلى القصاص منه، فهي حماية للقاتل قبل أن يصبح قاتلاً، وحماية للمقتول قبل أن يغدو مقتولاً، فالقصاص من القاتل عبرة لغيره، وحماية لسائر أفراد المجتمع، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، فالغضب الذي يغضبه القائلون بوحشية القصاص هو غضب من أجل قاتل، ولكنهم لا يغضبون من أجل قتل برئ! فمعنى قوله تعالى: ﴿ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]، هو: أن كل واحد عليه القصاص، وله القصاص، فالتشريع إنّما يخاطب أصحاب العقول الذين يفهمون الحكمة، ولا يخاطب من لا شغل له إلا العبث والطعن[40].

وبعد أن انتهى الشيخ من الرد على الطاعنين في القصاص، أظهر ذكاءه المعتاد عنه في ضرب الأمثال لتقريب المعنى للسامعين من واقعهم الذي يعيشون فيه، فقال: " إن المتدبر لأمر الكون يجد أن التوازن في هذه الدنيا، على سبيل المثال في السنوات الماضية يأتي من وجود قوتين عظميين كلتاهما تخشى الأخرى وكلتاهما تختلف مع الأخرى، وفي هذا الاختلاف حياة لغيرهما من الشعوب، لأنهما لو اتفقتا على الباطل لتهدمت أركان دولتهما، وكان في ذلك دمار العالم، واستعباد لبقية الشعوب ... وعندما حدث اندثار لقوة من القوتين هي الاتحاد السوفيتي، فإن الولايات المتحدة تبحث الآن عن نقيض لها؛ لأنها تعلم أن الحياة دون نقيض في مستوى قوتها، قد يجرىء الصغار عليها "[41].

ثُمَّ بدأ الشيخ بربط ذلك بالتشريع الإسلامي، فذكر: أن الخوف من العقوبة الذي يصنع التوازن بين الدول في العالم، هو ذاته الذي يصنع التوازن بين الأفراد، فعدل الرحمن هو الذي فرض علينا أن نتعامل مع الجريمة بالعقاب عليها، ومن تمام ذلك العدل أنْ يشهد بعض الناس تلك العقوبات، كما في عقوبة الزنا، وذلك ليرتدعوا عن ذلك الفعل المشين كما في قول الحق تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]، فالذي يجترئ على حقوق الناس يجترئ أيضا على حقوق الله، ولذلك فمقتضى إيثار الإيمان هو إرضاء الله لا إرضاء الناس، وإنزال العقاب بالمعتدي هو خضوع لمنهج الله، وفي رؤية هذا العقاب من قبل الآخرين هو نشر لفكرة أن المعتدي ينال عقاباً، ولذلك شرع الحق العقاب والعلانية فيه ليستقر التوازن في النفس البشرية"[42].

فالشيخ – رحمه الله تعالى- لم يشر إلى المثل الكامن في الآية الكريمة، بل اكتفى بالتمثيل الذي ذكره عن العداء والتوازن بين الدول والأفراد، وهو إيماء إلى المثل الكامن في الآية الكريمة، واستفاد الشيخ من الآية في الدعوة في:

1. الحث على القيام بالواجبات فلا تحصيل للحقوق دون القيام بالواجبات.
2. الدعوة إلى تطبيق شرع الله تعالى في القصاص؛ كونه حماية للمجتمع من وجود قاتل فيه.
3. الرد على الذين يهاجمون شرع الله تعالى المتمثل بالقصاص، وبيان أن العقوبة لم تشرع لتقع، بل لتمنع الفعل المؤدي إليها.
4. حث الناس على الابتعاد عما يوجب القصاص، وخاصة القتل، وذلك من خلال قيمة حياة الإنسان، وأنّه لا يجوز قتل أي إنسان بالباطل.
5. النهي عن الزنا وعواقبه.

الغرض في الآية القرآنية: هو بيان حكمة القصاص في الحياة، وأنّ القصاص إنما وجد لردع القاتل، وحماية للمقتول.

المطلب الثالث

"ليس الخبر كالمعاينة" [43]

ورد هذا المثل مفهوماً من قوله تعالى:﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260][44]، ومن الجدير بالذكر هنا أنّ النبيّ ﷺ ذكر هذا المثل، فـ ((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ، قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: إِنَّ قَوْمَكَ صَنَعُوا كَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا يُبَالِ، فَلَمَّا عَايَنَ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ))[45].

وقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى على الإحياء، بعد قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: 259]، " ولما كان الإيمان بالبعث بل الإيقان من المقاصد العظمى في هذه السورة وانتهى إلى هذا السياق الذي هو لتثبيت دعائم القدرة على الإحياء مع تباين المناهج واختلاف الطرق

فبين أولاً بالرد على الكافر ما يوجب الإيمان وبإشهاد المتعجب ما ختم الإيقان علا عن ذلك البيان في قصة الخليل صلوات الله وسلامه عليه إلى ما يثبت الطمأنينة... فكان كأنه قيل: يا منكري البعث ومظهري العجب منه ومقلدي الآباء في أمره بالأخبار التي أكثرها كاذب! اسمعوا قصة أبيكم إبراهيم عليه السلام" [46] فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: 260].

بدأ الشيخ بداية رائعة لبيان حال نبي الله إبراهيم عليه السلام، وضرب مثلا من واقع الحياة ليقرب الحالة للجمهور السامع وذلك لبيان أن الشكّ لم يكن في إيمان إبراهيم عليه السلام، فقال: " إن إبراهيم عليه السلام يسأل: كيف تُحيي الموتى؟ أي أنه يطلب الحال التي تقع عليها عملية الإحياء. فإبراهيم عليه السلام لا يتكلم في الإحياء، وإنما كان شكه عليه السلام في أن الله سبحانه قد يستجيب لطلبه في أن يريه ويطلعه على كيفية إحياء الموتى؟ ولنضرب هذا المثل ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعد والمثل لتقريب المسألة من العقول؛ لأن الله مُنزه عن أي تشبيه، إن الواحد منا يقول للمهندس: كيف بنيت هذا البيت؟ إن صاحب السؤال يشير إلى حدث وإلي مُحْدَث وهو البيت الذي تم بناؤه. فهل معرفة الكيفية تدخل في عقيدة الإيمان؟ لا... لقد كان إبراهيم مؤمناً، ولكنه يريد أن يزداد اطمئناناً، لأنه أدار بفكره الكيفية التي تكون عليها عملية الإحياء، لكنه لا يعرف على أية صورة تكون"[47].

ثم ذكر الشيخ أن الاطمئنان جاء لإرادة كيفية مخصوصة، وهذه الكيفية التي ستخرجه من متاهات كيفيات متصورة ومتخلية لا تأتي بمجرد الشرح بالكلمات، بل يجب أن تكون تجربة واقعية، فقال: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: 260] وصرهن: أَمِلْهن وَاجْمَعْهُنَّ إليك[48] للتأكد من ذوات الطير، ومن شكل كل واحد منهم؛ حتى لا تتوهم أنه سيجيئك واحد غيره، فهذه الطيور هي طيور مختلفة في الشكل،﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260] والقرآن لم يقل لنا هل أجرى سيدنا إبراهيم عليه السلام هذه العملية – أي تقطيع الطير- أم لا؟ والحق يقول مخاطبا إبراهيم بخطوات التجربة: ،﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: 260] ولم يقل: يأتينك طيرانا, فالطير يطير في السماء وفي الجو، لكن الحق أراد بذلك ألا يدع أي مجال لاختلاط الأمر فقال: (سعيا) أي أن الطير سيأتي أمامه سائرا، لقد نقل الحق الأمر من الطيران إلى السعي كي يتأكد منها سيدنا إبراهيم، إذاً فلكي تتأكد يا إبراهيم ويزداد اطمئنانك جئنا بها من طيور مختلفة وأنت الذي قطعتها، وأنت الذي جعلت على كل جبل جزءً، ثم أنت الذي دعوت الطير فجاءتك سعيا[49].

ثم أشار الشيخ بعد ذلك إلى حقيقة ما جرى من حيث القدرة، ففرق الشيخ بين القدرة التي هي من صفات الله تعالى الواجبة في حقه، وبين القدرة التي يمنحها الله تعالى لبعض عباده، فقدرة الله تعالى لا ينازعه بها أحد مطلق، وما يجري على يد البشر من معجزات إنما هو منحة من الله تعالى، فإبراهيم عليه السلام عاجز عن كيفية الإحياء، ولكن الله تعالى يعطيه القدرة على مناداة الطير، فيأتي الطير سعياً إليه، فقدرة الله تعالى يعديها إلى من لا يقدر فيقدر، ولذلك يأتي القول بخصائص عيسى عليه السلام ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49]، فهذه الخصائص كلها بإذن الله تعالى، وكذلك كان الأمر في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لذلك قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 260]، فالله تعالى عزيز لا يغلبه أحد، وهو حكيم يضع كل شيء في موضعه[50].

ثم ذكر الشيخ أنّ الكفار الذين عاصروا النبيّ ﷺ كانوا يشكون في مسألة الحياة والموت، وتعجبوا من حدوث هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: 82]، وفي موضع آخر قال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 78، 79]، فالله تعالى قادر على أن يبدأ الخلق على غير مثال، ثم يعيده بعد الموت، وإعادته أهون عليه من الابتداء، وهو جل جلاله الغالب في ملكه، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: 27][51].

ثم ذكر الشيخ بأهمية التذكير بالبعث فقال: " إنَّ الإنسان حينما يفهم أن هناك حسابا وهناك جزاءً، وهناك بعثا، فهو يعرف أنه لم ينطلق في هذا العالم، ولم يفلت من الإله الواحد القهار، إن للإنسان عودة، فالذي يغتر بما آتاه الله نقول له: لا، إنك لن تفلت من يد الله، بل لك عودة بالموت وعودة بالبعث. وإذا ما استقرت في أذهان المسلمين تلك العودة، فكل إنسان يقيم حسابه على هذه العودة"[52].

نشير هنا إلى أنّ الشيخ الشعراوي لم يذكر المثل الكامن في الآية الكريمة، ولكنّه مثّل بمثل آخر من الحياة الواقعية، وهو مثل المهندس، وقد استفاد الشيخ من المثل القرآني في:

1. بيان حال إيمان سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأن سؤاله لا يعني الشك كما يروج أعداء الإسلام.

2. بيان قدرة الله تعالى على الاستجابة لعباده بالرغم من كون الطلب صعب في نظر العبد، إلا أنّ الله تعالى قادر عليه، وهو عليه هيّن.
3. بيان أهمية الإيمان، وأن السؤال لغرض التعليم والتيقن من الشيء ليس عبثاً، بل هو لزيادة الاطمئنان.
4. الرد على النصارى الذي يزعمون أن عيسى ﷺ هو ابن الله – تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا- أو أنّه أتى بتلك المعجزات بقدرته هو، وذلك من خلال بيان حال عيسى ﷺ في الإحياء، وأنّ حاله كحال سيدنا إبراهيم ﷺ من حيث العجز عن فعل الإحياء، ولكن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى.
5. التذكير بعناد المشركين مع النبيّ ﷺ حول البعث.
6. تذكير المسلمين بوجوب العمل الصالح؛ لأنّه مبعوث ومحاسب عند الله تعالى.

الغرض في الآية القرآنية:

1. تذكير اليهود بقدرة الله تعالى على إعادة الحياة، فهم يدّعون أنّهم من أتباع إبراهيم ﷺ، وبيان أنّ الله تعالى قادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء.
2. القطع بأن هذا القرآن الكريم من الله تعالى، فهذه القصة لم يشهدها النبيّ ﷺ، وكان ﷺ أميّاً لا يعرف القراءة والكتابة ليطلعَ عليها في كتبهم، فذكرها فيه دليل على أنّه وحي من الله تعالى.
3. تثبيت قلب النبيّ ﷺ بالتذكير بعظيم قدرة الله تعالى.
4. تسلية النبيّ ﷺ بقصة الإحياء.

المطلب الرابع

إنْ ذهب عَيْرٌ[53] فعَيْرٌ في الرباط[54]

ويضرب هذا المثل " للشيء يقدر على العوض منه فيستخف بفقده" [55] فهو بمعنى: " إن فاتك أمر ففي يدك نظيره"[56] و بمعنى" في الرضا بالحاضر وترك الغائب"[57].

وقد ورد هذا المثل مقترناً بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: 265][58].

وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الصدقات، بعد قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [البقرة: 264]، ولما ضرب الله تعالى مثل من يبطل صدقته بالمن والأذى، ذكر بعده مثل المنفق الذي يراعي شرط عدم المن والأذى[59]، فقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ

ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 265].

ذكر الشيخ مثل من ينفق المال ابتغاء مرضاة الله كمثل هذه الجنة التي تسقى بأسلوب رباني[60]، ولم يشر الشيخ إلى المثل الكامن في الآية الكريمة، ولكنه اكتفى بيان معنى الآية، وبيان معنى الإخلاص فيه، ونرى أن معنى المثل خفي في هذه الآية المباركة، فربما يكون المقصود من إيراد المثل هو: أنّ الجنة تأتي أُكلها بما يصيبها، مطر شديد، أو خفيف، أي وكأن لسان حال أهل الأمثال يقول: وجهها هو: إن ذهب الوابل، فالطل يكفي، والله تعالى أعلم.

فالشيخ أشار إلى ذلك بذكر أن تللك الجنة تستفيد من كل المياه التي تأتيها، بأي حال من الأحوال، فهي على مرتفع، والماء يتقاطر حتى من أوراقها، فمثل من ينفق ابتغاء مرضاة الله كمثل هذه الجنة التي تسقى بأسلوب ربّاني، فإنْ نزل عليها الوابل- المطر الشديد- أخذت ما يكفيها وصرفت الباقي، وإن أصابها الطلّ – المطر الخفيف- ، فهو كافٍ لها؛ ليجعلها تأتي أكلها ضعفين، وإذا كان الضعف ما يساوي الشيء مرتين، فالضعفان أربعة مرات، والمصل هذا لزيادة الإيضاح لحالة من ينفق ماله في سبيل الله تعالى، وفيه حث على النفقة[61].

واستفاد الشيخ من هذه الآية الكريمة في الدعوة في:

1. الحث على الانفاق.
2. الحث على ترك الرياء، وبيان الطريق إلى ذلك، وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى.
3. بيان عِظم قدرة الله تعالى في سقي الزرع بأنواع المطر

الغرض في الآية القرآنية:

الحث على الانفاق في سبيل الله تعالى، وأن يكون ذلك الإنفاق لابتغاء مرضاة الله تعالى وحده، فيكون خالياً من الرياء.

الخاتمة

يمكن اجمال أهم النتائج التي توصل اليها الباحثان بالنقاط التالية:

1. للأمثال مكانة كبيرة عند العرب، فهي تصور جانباً حياً من جوانب حياتهم اليومية، فتلخص تلك الكلمات القليلة معانٍ كثيرة، لا يمكن أن يستخلصها إلا من له دراية وباع في ذلك الميدان الفسيح.
2. أخذت الأمثال العربية جانباً من اهتمام العلماء، لذا نجد كبار العلماء من أهل اللغة والمفسرين لهم تصانيف في ذلك المجال، فلا نجد تصنيفاً من تلك المصنفات إلا ووجدنا فيه صدى آيات الله تعالى، ولا تجد تفسيراً من تفاسير القرآن إلى ووجدنا الأمثال بين سطورها تتوسط تفسير الآيات لتبيين المعنى.

3. تظهر أهمية الأمثال من خلال الاهتمام بالجانب اللغوي والأدبي، إذ لا يمكن الفصل بينهما، فكتب الأدب، واللغة مرتع للأمثال.
4. سورة البقرة هي أعظم سورة في القرآن الكريم، لها فضائل عديدة، وميزات كثيرة، تنوعت فيها الأحكام، وتعددت فيها الأغراض، أوصى رسول الله ﷺ بالمداومة على قراءتها، وقد حوت أنواع الأمثال الثلاثة: الصريحة، والكامنة، والمرسلة.
5. يعتبر الشيخ الشعراوي من العلماء المجددين، فهو إمام الدعاة بحق، أخلص لله في دعوته، فطبقت شهرته الآفاق.
6. تمثل اللغة عند الشعراوي الأداة الأولى والأهم في تفسيره للقرآن الكريم، وقد أخلص الرجل في دراستها وفهمها، والغوص في أعماقها، فكانت هذ المفتاح الكبير لديه، ليستخلص منها كنوز القرآن الكريم، ثم إيصالها بأسهل أسلوب للسامع، فالشيخ كان يعمد في تفسيره إلى تفكيك اللفظ، وبيان معناه، ثم يسترسل في كلامه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين، ومن تبع دعوتهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

هوامش البحث:

[1] كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ - 1993م)، مادة (م ث ل): 8/ 228.

[2] ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ط5، بيروت: دار الجيل، 1401هـ - 1981م): 1/ 280.

[3] ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاؤه، 1376هـ - 1957م): 1/ 187.

[4] ينظر: البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني (ت: 444هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد (ط1، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، 1414هـ- 1994م): 140؛ التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ) (ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت): 1/ 23.

[5] ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ) (ط1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وشركاؤه، 1365هـ - 1946م) : 1/ 39- 40.

[6] صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: 1/ 553، حديث رقم (804)، من طريق أبي أمامة الباهلي.

[7] ينظر: دعوني وربي، الأيام الأخيرة في حياة الشيخ، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ) (د.ط، القاهرة: دار الروضة، د.ت): 7.

[8] ينظر: الشعراوي الذي لا نعرفه، سعيد أبو العينين (ط4، القاهرة: دار أخبار اليوم، 1995م): 12.

[9] ينظر: الشعراوي من القرية إلى القِمّة، محمود زايد (ط1، القاهرة: دار أخبار اليوم، د.ت): 14.

[10] ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ) (ط1، القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع – دار النور للطباعة، 2010) : 1/ 9.

[11] ينظر: محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الموسوعي الفسيح، محمد رجب بيومي (ط1، مصر: مكتبة التراث الإسلامي 1999م): 16.

[12] ينظر: الشعراوي من القرية إلى العالمية: 18.

[13] الشعراوي من القرية إلى العالمية : 47.

[14] المصدر نفسه: 49.

[15] ينظر: الشعراوي الذي لا نعرفه: 38.

[16] ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي عند الشيخ محمد متولي الشعراوي، حمدي إبراهيم حسن إبراهيم (رسالة ماجستير، في الفلسفة الإسلامية، جامعة المنصورة/ كلية الآداب قسم الفلسفة، 1436هـ- 2015م): 67.

[17] تفسير الشعراوي: 1/ 20.

[18] تفسير الشعراوي: 1/ 21.

[19] ينظر: المصدر نفسه: 1/ 21.

[20] ينظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس (ط1، بيروت: المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي، 1436هـ- 2014م): 135- 136.

[21] مباحث في علوم القرآن: 293.

[22] موسوعة النحو والصرف، أميل بديع يعقوب (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت): 536.
نحو قولنا: (ما قتلَ الأحرارَ كالعفو عنهم)، (كالعفو): الكاف اسم مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وهو مضاف، العفو مضاف إليه. [المصدر نفسه: 536].

[23] ينظر: الأمثال ودورها في الإقناع من خلال سورة البقرة: 20-21، وقد تقدّم الكلام عن هذه الأنواع في صفحة 55- 56 من البحث.

[24] مباحث في علوم القرآن: 296.

[25] جمهرة الأمثال: 1/ 3.

[26] ينظر: الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، الحسين بن الفضل، تحقيق: علي حسين البوّاب (ط1، الرياض: مكتبة التوبة، 1412هـ- 1992م): 9.

[27] مباحث في علوم القرآن: 293.

[28] لسان العرب، فصل الكاف: 13/ 359.

[29] ينظر: المثل في: جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: 395هـ) (ط1، بيروت: دار الفكر، 1408هـ - 1988م): 1/ 419، برقم (700)، ومجمع الأمثال، مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت: 518هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (ط1، بيروت: دار المعرفة، د.ت): 1/ 243، برقم (1294).

[30] مجمع الأمثال: 1/ 243.

[31] ينظر: الأمثال الكامنة في القرآن الكريم: 26. مباحث في علوم القرآن: 295.
[32] تفسير الشعراوي، تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ) (ط1، القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع – دار النور للطباعة، 2010): 1/ 319- 320.
[33] ينظر: تفسير الشعراوي: 1/ 320.
[34] تجدر الإشارة هنا إلى أننا وجدنا هذا المثل تحت عنوان مثل آخر، وهو قول العرب: بَعْضُ القَتْلِ إحْياءُ لِلْجَمِيع. ينظر: مجمع الأمثال، رقم المثل(529): 1/ 105.
[35] الأمثال الكامنة: 42.
[36] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، (ط4، مصر: دار المعارف، د.ت): 3/ 189.
[37] ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت: 637هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (د.ط، بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1995م): 2/ 118.
[38] ينظر: تفسير الشعراوي: 2/ 77- 78.
[39] تفسير الشعراوي: 2/ 78.
[40] ينظر: تفسير الشعراوي: 2/ 78- 79
[41] المصدر نفسه: 2/ 79.
[42] ينظر: المصدر نفسه: 2/ 79- 80.
[43] ينظر: المثل في: مجمع الأمثال، رقم المثل (3270): 2/ 182؛ المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: 538هـ) (ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1397هـ- 1977م): 2/ 303، برقم (1074) بفلظ: الْخَبَر كالعيان ويروى الْخَبَر كالمعاين.
[44] ينظر: الأمثال الكامنة في القرآن الكريم: 28.
[45] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408هـ - 1988م)، كتاب: التاريخ، باب: بدء الخلق، ذكر السبب الذي من أجله ألقى موسى الألواح، رقم الحديث (6213): 14/ 96، وقال عنه الشيخ الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله رجال الشيخين.
[46] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ) (د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت): 4/ 61
[47] تفسير الشعراوي: 2/ 432.
[48] لسان العرب ، فصل الصاد المهملة: 4/ 474.
[49] ينظر: تفسير الشعراوي: 2/ 433.
[50] ينظر: تفسير الشعراوي: 2/ 434- 435.
[51] ينظر: المصدر نفسه: 2/ 435.
[52] المصدر نفسه: 2/ 435- 436. وننوه هنا إلى أن الشيخ تكلم بعد هذا الكلام بما يخص موضوع الإعمار والحركة، وهو خارج الغاية من المثل القرآني المراد في الآية، لذا اكتفينا بما أوردناه.
[53] العَير بفتح العين المهملة: الحمار؛ وعير القوم: سيدهم، وهو المقصود هنا، ينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم، أبو علي نور الدين الحسن بن مسعود بن محمد، نور الدين (ت: 1102هـ)، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر (ط1، المغرب: الشركة الجديدة، 1401 هـ - 1981م) : 1/ 96.
[54] ينظر: جمهرة الأمثال، العسكري، رقم المثل (99): 1/ 109، بلفظ (هلك عير)؛ الأمثال، أبو الخير زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (ت: بعد 400هـ) (ط1، دمشق: دار سعد الدين، 1423هـ)، رقم المثل (245): 52، بفلظ: (إنْ فرّ عير فعير في الرباط)؛ مجمع الأمثال، الميداني، رقم المثل (82): 1/ 25؛ المستقصى، رقم المثل (1606): 1/ 372.
[55] جمهرة الأمثال: 1/ 109.
[56] الأمثال: 1/ 52.
[57] مجمع الأمثال: 1/ 25.
[58] الأمثال الكامنة في القرآن الكريم: 42.
[59] ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 4/ 81.
[60] تفسير الشعراوي: 2/ 449- 450.
[61] المصدر نفسه.

List of sources and references:

- **The Holy Quran.**

1. Proverbs Lurking in the Noble Qur'an, Al-Hussein Bin Al-Fadl, edited by: Ali Hussain Al-Bawab (1st ed., Riyadh: The Repentance Library, 1412 AH - 1992 AD.)
2. Proverbs, Abu al-Khair Zaid bin Abdullah bin Masoud bin Refa'ah, Abu al-Khair al-Hashemi (d .: After 400 AH) (1st Edition, Damascus: Dar Saad al-Din, 1423 AH), Parable number (245.)
3. Evidence in the Sciences of the Qur'an, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur al-Zarkashi (d .: 794 AH), edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim (ed. 1, Cairo: House of Revival of Arabic Books, Issa al-Babi al-Halabi and his partners, 1376 AH - 1957 CE)
4. The statement in counting the verses of the Qur'an, Abu Amr Othman bin Saeed bin Othman bin Omar al-Dani (d .: 444 AH), edited by: Ghanim Qadouri al-Hamad (1st ed. Kuwait: Center for Manuscripts and Heritage, 1414 AH - 1994 AD)
5. Tafsir al-Shaarawi, Muhammad Metwally al-Shaarawi (d .: 1418 AH) (1st edition, Cairo: Dar Al-Salam for Publishing and Distribution - Dar Al-Nour for Printing, 2010.)
6. The Qur'anic interpretation of the Qur'an, Abd al-Karim Yunis al-Khatib (d .: after 1390 AH) (first edition, Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, d.
7. Interpretation of Al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa Al-Maraghi (d .: 1371 AH) (1st Edition, Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company, 1365 AH - 1946 AD.)
8. Let me and my Lord, the last days in the life of the sheikh, Muhammad Metwally Al-Shaarawi (d .: 1418 AH) (d. T, Cairo: Dar al-Rawda, dt.)
9. The Diwan of Abi Tamam with the explanation of Al-Khatib Al-Tabrizi, edited by: Muhammad Abdo Azzam, (4th Edition, Egypt: Dar Al-Maarif, d.
10. Zahr Al-Akam in Proverbs and Rulings, Abu Ali Nur al-Din al-Hasan bin Masoud bin Muhammad, Nur al-Din (d .: 1102 AH), edited by: Muhammad Hajji, Muhammad al-Akhdar (First Edition, Morocco: The New Company, 1401 AH - 1981 AD.)
11. Al-Shaarawi, whom we do not know, Saeed Abu Al-Enein (4th ed. Cairo: Dar Akhbar Al Youm, 1995 AD)
12. Al-Shaarawy from the village to the summit, Mahmoud Zayed (1st floor, Cairo: Dar Akhbar Al-Youm, dt.)
13. Sahih Muslim, Abu al-Hasan Muslim bin al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi (d .: 261 AH), edited by: Muhammad Fuad Abd al-Baqi (1st ed., Beirut: Dar Revival of Arab Heritage, d.
14. Al-Umda in the Beauties of Poetry and Literature, Abu Ali Al-Hassan Bin Rashiq Al-Qayrawani Al-Azdi (T .: 463 AH), Edited by: Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid (5th Edition, Beirut: Dar Al-Jeel, 1401 AH - 1981 AD.)
15. The book of Al-Ain, Abu Abd Al-Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim Al-Farahidi Al-Basri (d .: 170 AH), edited by: Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai (Edition 1, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, 1414 AH - 1993 AD.)
16. Lisan al-Arab, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad bin Makram bin Ali Jamal al-Din Ibn Manzur al-Afriqi (T: 11 AH) (Ed 3, Beirut: Dar Sader, 1414 AH.)
17. Investigations in the Sciences of the Qur'an, Manna Al-Qattan (d .: 1420 AH) (3rd edition, Egypt: Knowledge Library for Publishing and Distribution, 1421 AH - 2000 AD.)
18. The proverb in the literature of the writer and poet, Abu Al-Fath Dia Al-Din Nasrallah bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim, known as Ibn al-Atheer (T: 637 AH), edited by: Muhammad Muhy al-Din Abd al-Hamid (d. T, Beirut: Modern Library for Printing and Publishing, 1995 AD.)
19. Muhammad Metwally Al-Shaarawy, a tour of his vast encyclopedic thought, Muhammad Ragab Bayoumi (1st Edition, Egypt: Islamic Heritage Library 1999 AD.)

20. Arranging the pearls in relation to the verses and the suras, Ibrahim bin Omar bin Hassan al-Rabat bin Ali bin Abi Bakr al-Buqai (d .: 885 AH) (d.)